تجديد النّحو العربيّ عند نحاة الأندلس، ألفيّة ابن مالك أنموذجا

Andulusian Grammarians and Innovation of Arabic Grallar
Alfiyya Ibn Malik as a model

ط.د/ نكروف أسماء
مخبر الدّراسات النّقديّة والأدبيّة المعاصرة
جامعة أحمد بن يحيى الونشريسيّ – تيسمسيلت (الجزائر)
nekrouf.asmaa@cuniv-tissemsilt.dz

تاريخ الإرسال: 2021/12/27 **تاريخ القبول: 2022/01/09**

ملخص:

لقد تربّع ابن مالك الأندلسيّ على عرش المدرسة الأندلسيّة؛ إذ كان من جهابذة اللّغة وأساطين النّحو العربيّ؛ كما يعدّ عالما فذّا في النّظم الشّعريّ في مجال النّحو التّعليميّ؛ وكذا عرف رائدا من روّاد الشّعر التّعليميّ؛ كما أنّه خلّف جهودا واضحة في مجال التّيسير النّحويّ لها مكانتها في الدّرس اللّغويّ، وآثرت هذا البحث ليكون موضوعا للدّراسة من أجل تحرّي الإسهامات التّجديديّة للنّحو لابن مالك من خلال ألفيّته، ووصف منهجه في التّيسير النّحوي بعد الإجابة على الإشكاليّة التّالية: كيف ساهم ابن مالك الأندلسيّ في تيسير النّحو العربيّ من خلال ألفيّته؟

الكلمات المفتاحية: ابن مالك الأندلسيّ؛ الألفيّة؛ التّجديد؛ التّيسير؛ النحو.

***Abstract* :**

The Andalusian Grammarian Ibn Malek reigned over Andalusia School by his pedagogical poetry in the field of pedagogical grammar. He left behind great deeds in simplifying and managing grammar course by using poetry. The study aims to investigate Ibn Malek innovative Grammar contributions through his Alfiyya and to describe his approach in simplifying Arabic grammar.

keywords: Ibn Malik Al-Andalussi, Al-Alfiyya, renovation, approach, grammar.

مقدمة:

إنّ علم النّحو من العلوم التي شغلت اهتمام الباحثين قديما؛ وذلك لأنّ النّحو العربي هو أبرز فروع اللّغة، وأساسها المتين، به يُفرّق بين الصّحيح والسّقيم؛ إذ إنّ النّحو يفتح مغاليق التّراكيب، ويكشف عن المعاني، فقد أدرك العلماءُ القدامى أهميّته، فألّفوا فيه من المصنّفات الكثير، كما تنبّه العلماءُ إلى بعض الصّعوبات التي تحتاج إلى تيسير وتسهيل وذلك بغية تعليم النّحو العربيّ للنّاشئة، ولعلّ أشهر ثورة نحويّة ظهرت شهدها القرن السّابع الهجريّ في بلاد الأندلس فكانت نهضة نحوية ناضجة، وهناك أينعت شخصيّته واتّضحت سماته، فكان عصرا متميّزا صنع للدّرس النّحويّ مكانته من جديد، في قالب المتون والمنظومات النحويّة كون المنظوم أسهل حفظا من المنثور فشاع فنّ الشّعر التّعليميّ الذي يوصل الفكرة بالعبارة الموجزة، بطريقة سهلة يسيرة، تدفع عن المتلقّي السّآمة والضّجر.

ولذلك ألّفوا المختصرات والشّروح، والحواشي؛ لأنّه كان في حاجة ماسّة للإصلاح والتّجديد، فظهرت جهود جهابذة العربيّة وأساطين النّحو الّتي لا زالت ليومنا هذا آية للذّكرى وأخرى للتّعلّم وشرعوا يصنّفون مؤلّفات عديدة لتخليصه من جلباب التّعقيد والغموض، وكسر قيوده وحلّ مشاكله، ولعلّ أشهر العلماء الّذين نادموا لاقتنائها الدّفاتر وسامروا القماطر والمحابر: ابن مالك الأندلسيّ من خلال منظومته النّحويّة: الألفيّة/ الخلاصة الّتي نالت اهتماما بالغا من النّحاة فكثرت شروحها والتّعليقات عليها.

ترجمة ابن مالك:

ابن مالك هو أبو عبد الله جمال الدّين محمّد بن مالك الطّائيّ الأندلسيّ الدّمشقيّ[1]، لقّب بالطّائي نسبة إلى قبيلته طيىء، وقيل الجيّاني نسبة إلى جيّان – مسقط رأسه–، والأندلسيّ إلى الأندلس موطنه الأصليّ، ويذهب جمهور المؤرّخين لحياته والمتحدّثين عنه أنّه ولد سنة ستّمائة للهجرة (600هـ)[2].

سلك ابن مالك في تحصيله العلميّ مسار معاصريه في التّعليم، فأكبّ على طلب شتّى العلوم، قرأ كتاب سيبويه على أبي عبد اللّه بن مالك الميرتليّ، وجلس فترة قصيرة في حلقة الشّلوبين، وفي الشّام سمع من أبي صادق بن صباح، ومن مكرم بن محمّد بن حمزة القرشيّ، ولازم ابن يعيش الحلبيّ مدّة طويلة[3].

وقال أبوحيان عن شيوخه: «فلم أجد له شيخا يعتمد عليه، ويرجع في حلّ المشكلات عليه إلّا أنّ بعض تلاميذه ذكر أنّه قال: قرأت على ثابت بن حيّان، وكان هذا الأخير من أئمّة المقرئين»[4].

مكانته العلميّة:

لقد حظي ابن مالك بمكانة علميّة مرموقة؛ إذ كان –رحمه اللّه– ديّنا عالما عابدا كثير النّوافل، حسن السّمت[5].

وكان بحرا لا يجارى، وحبرا لا يبارى، كان همّه التردّد على العلماء والأخذ عنهم حتّى يتفنّن، ويتذوّق العلم الذي يريد الوصول إليه[6].

قال عنه المقري: «أخذ العربيّة عن غير واحد، وقرأ كتاب سيبويه، كما درس المذهب المالكيّ، وهو المذهب السائد في الأندلس في ذلك الوقت»، وجاء في نفح الطّيب مرثيّة الشّرف الحصيني لابن مالك حيث قال:

يَا شَتَات الأَسمَاءِ وَالأفعَال بَعْدَ وَفاةِ ابنِ مَالكَ المُفْضَال

وانحراف الحروف مِن بَعدِ ضَبْط مِنهُ فِي الانْفِصَال والاتّصَال[7].

وفاته:

توفّي ابن مالك – رحمه الله – بدمشق، في النّصف الثّاني عشر من شعبان سنة اثنين وسبعين وستّمائة هجريّة (672هـ) وقال الصّفدي عنه: «ابن مالك انفرد عن المغاربة بشيئين، الإكرام ومذهب الشافعي»[8].

من مصنّفاته:

لقد ترك هذا العالم الجليل ميراثا ضخما يبلغ نحوا من خمسين مصنّفا في النّحو والصّرف والقراءات، وقد صاغ هذه المؤلّفات بلغة الشّعر ولغة النّثر[9]، نذكر من بينها:

تسهيل الفوائد في النحو، المؤصَّل في نظم المفصّل، وقد حلّ هذا النّظم، فسمّاه سبك المنظوم وفكّ المختوم، كتاب الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها، الخلاصة، وهي مختصر الشّافية وهي المرادة بقوله فيها:

أحصى من الكافية الخلاصة.

إكمال الأعلام بمثلّث الكلام وهو مجلّد كبير كثير الفوائد، لاميّة الأفعال وشرحها، فَعَل وأفْعَل، المقدّمة الأَسَديّة، وضعها باسم ولده الأسد، عدّة اللافظ وعمدة الحافظ، النّظم الأوجز فيما يهمز، الاعتضاد في الظّاء والضّاد، إعراب مشكل البخاري، تحفة المودود في المقصور والممدود، شرح التّسهيل وغير ذلك[10].

أمّا أهمّ مؤلّفاته فالكافية لنفسه، والألفيّة للطّلاّب والتّسهيل للعلماء، ويقال إنّه قد لخّصه في مؤلّف سابق له، اسمه الفوائد هذا الّذي عناه سعيد الدين العربي العوفي بقوله:

إنّ الإمَامَ جمال الدّين فضّله إلاهه ولنشر العلم أهّله
أملى كتابا له يسمّى الفوائد لم يزل مفيدا لذي لبّ تأمّله
فكلّ مسألة في النّحو يجمعها إنّ الفوائد جمع لا نظير له[11].

أ– منهج ابن مالك في تأليف الألفية:

يعتبر ابن مالك إمام النّظم في علوم العربية؛ فهو صاحب الباع الطويل في هذا الميدان، فقد ملك ثقافة واسعة وأسلوبا عربيّا سليما، استطاع بفضلهما استيعاب النحو العربي بمختلف مسائله، وقضاياه التّركيبيّة والتّصريفيّة إلى جانب الأمثلة والشّواهد المتنوعة وصوغها في قالب المنظومة دون أن يختلّ منه الوزن[12].

إنّ ابن مالك – من دون شكّ – رائد حذق، تربّع على عرش الشعر التّعليمي استعان به ليقدّم النّحو في قالب جديد يسير يساعد المتّعلم على إدراك القضايا النّحوية من غير تعقيد ولا تكلّف، ولعلّ أيسرها الألفيّة الّتي قال في مدحها ابن المجراد (ت 819هـ):

خلاصة النّحو لا أبغي بها بدلا مستغرقا درسها في كل أوقاتي
قد جمعت لبّ علم النّحو مختصرا نظما بديعا حوى جلّ المهمّات
قل لابن مالك إنّي قد شغفت بها لم يأت مثل لها يوما، ولا يأتي
وها أنا أسأل الرّحمن معفرة له تبوءه في خير جنّات[13].

ما هي الألفية؟

الألفية منظومة نحويّة، تجمع أهمّ مسائل علم النّحو في قالب موجز، وصورة واضحة جمع فيها مقاصد العربيّة في علمي النّحو والصرف، سمّاها "خالصة" وأخذها من الكافية

الشافية واشتهرت بالألفيّة لبلوغ عدد أبياتها ألفا وبيتين على أشهر الأقوال[14]، وشاع هذا النّوع من التأليف في أواخر القرن 6هـ، لابن مالك النّحويّ الأندلسيّ ذاكرا اسما في بدايتها: قال محمّد هو ابن مالك أحمد الله ربّي خير مالك[15].

ألّفها ابن مالك في حماة سنة (660هـ)، أخبرني شيخنا قاضي القضاة شرف الدّين هبة الله البارزيّ قال: «نظم الشيخ جمال الدّين الخلاصة الألفيّة في حماة عندنا»[16]، لما وجده في الكافية من عيوب وتقصير، وعدم انتشار بسبب طولها،كما صرّح بذلك في آخر الألفيّة، سميّت: الخلاصة في النّحو، واشتهرت بعد بألفيّة ابن مالك في النّحو والصّرف:

وَما بِجمْــعه عُنيتُ قَد كَمَـل نَظمًا علَى جُلّ المهمّاتِ اشْتمَل
أَحْصَـى مِن الكَافِية الخلَاصه كَما اقتضَى غِنى بِلا خَصَاصه[17].

جاءت الألفيّة على منوال: بحر الرّجز نظرا لخصوصيّته عند الشّعراء وسهوله امتطائه؛ باعتباره من أوفر أوزان الشّعر العربيّ أنغاما، يسهل على النّاظم التّغيير في تفاعيله؛ كما أنّه أكثر مرونة لحمل المعارف العلميّة، كما تأثّر في نظمه للألفيّة بابن معط الزّواوي إذ عرف له حقّه فأشاد به:

وَتَقتضِي رِضًا بغَيرِ سخْط فــائِقَـةً أَلْفيَّة ابْنِ مَالك
واللهُ يَقضِي بهبـَاتٍ وَافـرَة لِي ولَه في دَرجَاتِ الآخِرَة[18].

لقد ذاع صيت ألفيّة ابن مالك؛ فنالت عناية العلماء واهتمامهم على دراستها والتّعليق عليها فظهرت الشّروح والحواشي أشهرها:

توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيّة ابن مالك، للمرادي (ت749هـ)، توضيح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، لابن هشام، (ت761هـ)، شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك لابن عقيل، (ت769هـ)، شرح المكّوديّ على ألفيّة ابن مالك، للمكودي (ت801هـ) البهجة المرضية في شرح الألفيّة للسّيوطي، (ت911هـ)[19].

ب– مظاهر التّيسير النّحويّ:

تعدّ ألفيّة ابن مالك من أهمّ المنظومات النّحويّة الّتي أزاحت ضباب التّعقيدات والتّعليلات والتّأويلات، فهي محاولة هادئة للاعتراض على المؤلّفات النّحويّة الطّويلة، والّتي كانت سببا رئيسا لصعوبة علم النّحو، فجاءت في طبق يسير، سهل الحفظ والاسترجاع

يسوغه المتلقّي؛ فكانت منظومته الشعريّة مختصرة، بأسلوب تعليميّ، وهو الذي يعرض للمادّة التّعليميّة لأنّ النّظم التّعليميّ انتشر في هذا العصر، ضمّت علمي النّحو والصّرف[20].

1. الإيجاز وتفادي الحشو والإطالة:

اتّسمت عباراته بالاختصار، غافلا الحشو والتّكرار، قاصدا أصل المعنى من غير إطناب، فتجده يدرج المعاني الكثيرة في اللّفظ اليسير، وأظهر لنا هذه السّمة في قوله:

تَقرّبُ الأقْصَى بِلَفظٍ مُوجَز وَتُبسِطُ البَذلَ بِوعْدٍ مُنجَز[21].

يقول ابنه بدر الدين عند شرحه لهذا البيت: «إن هذه الألفية مع أنها حاوية المقصد الأعظم من علم النحو؛ لما فيها من المزية على نظائرها أنها تقرب إلى الأفهام المعاني البعيدة بسبب وجازة اللفظ، وإصابة المعنى وتنقيح العبارة»[22].

فقد عرف عن ابن مالك في نظمه للألفيّة، ببساطة البيت، مع تقريب معناه بالمثال الواضح، ناهيك عن انسجام الفكرة وتسلسلها، هذا ما استساغه الطّلاّب فأولوا عناية بحفظها لما نالته من شهرة وهاهو قول الشّاعر –على منوال بحر الطّويل– متباهيا بالألفيّة وصاحبها:

لِأَلفيَّة الحَبرِ ابنِ مَالِكَ بُهْجَـــة عـلَى غَيرِهَا فَاقَت أَلفَ دَلِيـــل

عَلَيهَا شُرُوح لَيْسَ يحْصَى عَدِيده وأَحْسَنتَ المَنْسُوب لابْنِ عَقِيل[23].

2. الأسلوب المباشر وتفادي الإطناب:

إنّ ألفيّة ابن مالك من أعظم الوسائل التعلّيميّة الّتي اتبعها العلماء في تعليم النّحو العربيّ وتسهيله، وتيسيره، وتذليل صعوباته على شاكلة الشّعر التّعليميّ، فجاءت حافلة بالمعاني منسّقة الأحكام، إذ كان يقّدم مادّته في صورة مباشرة بعيدة عن الإطناب، وهذا ما جعل هذا الكتاب موجزًا صغيرًا في حجمه، عظيمًا في فائدته وأسلوبه[24]، مثال هذا في قوله:

باب المُعَرَّف بأداة التعريف:

أَلْ حرفُ تعريف أو الّلامُ فقط فنمطٌ عرّفت قُل فِيه النّمط[25].

باب كان وأخواتها:

ترفَـع كَانَ المبتـدَا اسما وَالخبـر تَنْصِبُـه كَكَـان سَيِّداً عُمَـرْ[26].

من خلال هذه الأبيات يتضح أسلوب ابن مالك السّلس، في قالب مباشر، متجنّبا الحشو والإطناب، ما يساعد المتعلمين على التّحصيل، وتقريب القاعدة من أذهانهم وترسيخها؛ فتراه يقدّم القاعدة موجزة، وبعدها المثال في صورة واضحة، بسيطة.

3. التّرتيب حسب العامل:

نظم رؤوس المسائل في أبواب وفصول، ما يعدّ من أفضل، وأحدث مناهج التّقسيم والتّأليف[27]، يبدأ بالمرفوعات ثمّ المنصوبات ثمّ المجرورات، هذا يؤكّد أهميّة العامل، ويساعد المتعلّم على التّرتيب الذّهنيّ، والتذكّر[28].

وحقّ أنّ المعاصرين سار كثير منهم على نهج ترتيبه، وهنا يقول الأستاذ عبّاس حسن: «وإنّما آثرنا في ترتيب الأبواب النّحوية التّرتيب الّذي ارتضاه ابن مالك؛ لأنّه أكثر ملاءمة في طريقته وأوفر إفادة في التّحصيل، والتّعليم»[29]، إلّا أنّه لم يحط بجميع أبواب النّحو وهذا ما ذكره في آخر الألفيّة:

وَمَا بِجَمْعِهِ عُنِيتُ قَدْ كَمَلْ نَظْماً عَلَى جُلِّ الْمُهِمَّاتِ اشْتَمَلْ

كما أنّ من طبيعة المؤلّفات التّعليميّة الاختصار في بعض الأحكام، فليس من الممكن أن يدرس المتعلّم كلّ أبواب النّحو[30].

4. **انتهاج الطّريقة الاستقرائيّة:** تنتقل من الجزء إلى الكلّ، ومن الخاصّ إلى العامّ، وهذا يظهر في الأبيات الّتي تحوي مثالا يتبع القاعدة.

المعرب والمبنيّ:

فَارْفَعْ بِضَمٍّ وانْصِبَنْ فَتْحاً وَجُرّ كَسْـراً كَذِكْرُ اللهِ عَبْدَهُ يَسُـرّ
واجْزِمْ بِتَسْكِينٍ وَغَيْرُ مَا ذُكِرْ يَـنُوبُ نَحْوُ جَا أَخُو بَنِي نمِر[31].

ينتقل ابن مالك في هذا البيت من الخاص: بذكره علامة الرّفع (الضمة)، والنصب (الفتحة)، والجر (الكسرة) إلى العام في عجز البيت موضحا ذلك بالمثال.

الابتداء: وَالخَبَرُ الجزْءُ المتِمُّ الفَائِدَة كَاللهُ برّ والأَيَادِي شَاهِدَه[32].

ففي الشّطر الأوّل من البيت يقدمّ تعريفا موجزا عن الخبر؛ بأنّه هو الّذي يقدّم الفائدة الّتي يستلزمها المبتدأ، إذ قدّم جزءا عن الخبر تتّضح صورته في الشّطر الثّاني، بتقديم المثال منتقلا من الجزء إلى الكلّ.

5. التّمثيل في تعريف المصطلحات والمفاهيم النّحويّة:

فمن ذلك قوله:

كَلامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كاسْتَقِمْ وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمْ[33].

الكلام عند النّحاة: «هو القول المفيد بالقصد، مادلّ على معنى يحسن السّكوت عليه»[34]. لكنّ ابن مالك اختصر هذا التّعريف بقوله: كاستقم، كأنّه قال: الكلام هو اللّفظ المفيد فائدة كفائدة استقم.

6. تفادي مسائل الخلاف بين المذاهب النّحويّة:

ومن ذلك قوله في باب الابتداء:

وَارفعُوا مُبتدَأ بِالابتِدَا كَذَاكَ رَفعُ الخَبَر بَالِابتِدَا.

تفادى ابن مالك ذكر مسألة الخلاف في عامل المبتدإ والخبر، مع أنّها من أشهر مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيّين؛ لأنّ هذه القضيّة الخلافيّة طويلة لا ثمرة لها في النّحو والخلاف فيها يرجع إلى تحقيق اصطلاحيّ، فالأولى في هذه المسألة وأمثالها ترك الاشتغال بالرّدّ والتّرجيح، لهذا فقد ضرب ابن مالك عن ذكر الحجج فيها واستيعابها صفحا[35].

ج– موقف النّحاة من قضايا التّيسير النّحويّ عند ابن مالك:

على الرّغم من مجهودات ابن مالك في النّحو التّيسيريّ، ورغم أهميّة الألفيّة ومكانتها العلميّة، إلّا أنّه لم يسلم من المآخذ في المادّة والمنهج، وهذا لا ينقص من شأن الخلاصة بل يزيدها رفعة كدليل على إقبال الشّارحين على دراستها واستنباط أحكامها. وممّا عابه العلماء عليه مايلي:

1. إطلاق العبارة:

من المآخذ والانتقادات الموجّهة لابن مالك ما يتعلّق بإطلاق العبارة دون تحديد، معنى هذا أنّه يأتي بالعبارة مطلقة دون قيد، كقوله في باب الكلام وما يتألّف منه:

بالجَرِّ وَالتَّنْوِينِ وَالنِّدَا وَأَلْ وَمُسْنَدٍ لِلِاسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَلْ

اعترض عليه في قوله: «والتّنوين: حيث أطلقه دون تقييد على سبعة أقسام: تنوين التّمكين والتّنكير، والمقابلة، والعوض، والتّرنّم، والاضطرار والغالي، بينما تنوين التّرنّم، والغالي فيكونان في الاسم والفعل والحرف»[36].

كما يروى أنّ تلاميذ أبي حيّان هاجموا ألفيّة ابن مالك فقال أحدهم:

أَلفِيّة ابنِ مَالِك مَطْمُوسَة المسَالِك

وكَم بِهَا مُشْتَغِل أُوقِـعَ في المَهالِك[37].

2. قصور العبارة:

قوله في باب **المعرب والمبنيّ**:

وَكُلُّ حَرفٍ مُسْتَحِقٌّ لِلْبِنَا وَالأَصْلُ فِي الْمَبْنِيِّ أنْ يُسَكَّنَا.

يشير في هذا البيت أنّ كلّ الحروف مبنيّة، وأنّ الأصل في البناء السّكون، لكن لفظ مستحقّ لا يعطي هذا المعنى لذا فقد أصلح ابن غازي الشّطر الأوّل بقوله: والحرف مبنيّ وأصله البنا[38].

وكذلك قوله في **باب المفعول به:**

وشرط كون ذا مقيّسا أن يقع ظرفا لما في أصله معه اجتمع.

يبدو تركيب هذا البيت غامضا، يكسوه التّعقيد وصعوبة فهمه، فكان محلّ نقد ومؤاخذة من طرف الشّارحين مثل أبي حيّان مصرّحا: «هذا البيت تركيبه معقّد، وعبارة النّحويّين في هذا سهلة، وهي أنّ الفعل يتعدّى إلى الأمكنة المشتقّة من لفظه»[39].

وأيضا قوله في **باب النّداء:**

تَابِع ذِي الضَّمّ المضَافِ دُونَ أَل أَلْزِمْه نَصْبًا كَأَزِيْد ذَا الحَبل.

هنا يذكر ابن مالك أنّ الّذي يتبع المنادى إذا كان مضافا وغير مقترن بأل؛ فإنّه يجب نصبه لكن قول ذي الضّمّ يوهم أنّ هذا الحكم مقصور على تابع المنادى المضموم، فلو قال: تابع ذي البناء لشمل ذلك[40].

3. **الحشو في بعض الأبيات:** ومن ذلك قوله في باب الكلام:

واحِدُهُ كَلِمَةٌ والقَوْلُ عَمْ وَكِلْمَةٌ بِهَا كَلاَمٌ قَدْ يُؤَمْ.

في هذا البيت شيء من الإطناب فالشّطر الأوّل من البيت كاف بالغرض لوحده هذا الرّأي الّذي أقرّ به أبو حيّان التّوحيديّ قائلا: «وكلمة بها كلام قد يؤم، بأنّ ذلك كالحشو، بالنّسبة لعلم النّحو، وإنّما هو من علم اللّغة»[41].

وصرّح بعضهم بنفس الرّأي معتبرا هذا الحشو بمثابة الدّاء من غير دواء: «إنّ ذكر هذه المسألة من عيوب الألفيّة الّتي لا دواء لها»[42].

وقوله في **باب كان:**

كَذَاك سَبْق خَبَرُ مَا النَّافيَة فَجِيءَ بها متلوّة لَا تَالِيَة.

يبدو أنّ النّاظم قد تعثّر في هذا البيت لما نراه من حشو، وهذا ما لم نعهده في الأبيات السّابقة، نتيجة شحّ الألفاظ هذا ما اعترض عليه الشّاطبيّ في هذا البيت فقال: «ومن عادة النّاظم – رحمه الله – أن لا يأتي في هذا النّظم بحشو ولا تكرار، فهو من شحّه بالألفاظ يلتزم في أكثره الشّذوذات، فلو قال: فجيء بها متلوّة من غير زيادة»[43].

لعلّ الاختصار سبب واضح لقصور المعنى وإيهامه، واضطراب المادّة العلميّة المطروحة؛ فالاقتصاد اللّغويّ سبيل لضياع الهدف، وانتفاء الغاية، هذا ما عابه ابن خلدون على مختصرات هؤلاء مصرّحا: «وقد كانت هذه الصّناعة تؤذن بالذّهاب لما رأينا من النّقص في سائر العلوم»[44].

خاتمة:

لقي موضوع تيسير النّحو التّعليميّ وتسهيله اهتماما بالغا وعناية واضحة بين علماء الأندلس، فتعدّدت مناهجهم وتنوّعت، ونضجت محاولاتهم في قالب كتب ومنظومات مجرّدة من الصّعوبات، والتّأويلات والتّعليلات الّتي لا تسمن ولا تغني من جوع.

وبعد جولة من الدّراسة نكون قد توصّلنا إلى النّتائج التّالية:

- المنظومة النّحوية شكل من أشكال تيسير علم النّحو للنّاشئة والمتعلّمين من غير تعقيد ولا تكلّف لسهولة عرضها.
- الأسلوب التّعليميّ الّذي اعتمده ابن مالك في النّظم صرف النّاس عن شتّى المؤلّفات هذا ما يدلّ على براعة المصنّف في صياغته النّظمية.
- اتّسم منهجه المجدّد في تيسير النّحو التّعليميّ بما يلي:

1. تنظيمه لموضوعات البحث وحسنُ تقسيمه لها.
2. حسن التّبويب والتّدرّج في التّأليف.
3. شرح الغامض من المسائل، الابتعاد عن الإسهاب في مسائل الخلاف وتدوينها.
4. تبسيط المادّة النّحويّة للمتعلّمين والاستئناس بالأمثلة الواضحة.

وأخيرا إنّ فكرة تسهيل النّحو وتيسير تعليمه لا يعني التّفريط في أسسه، أو هدم قواعده؛ بل يعني البحث عن كيفيّة تقديمه بطريقة علميّة، وأسلوب واضح هدفه الإفهام.

الهوامش والإحالات

(1)– جلال الدّين السّيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة، تحقيق: محمّد أبو الفضل، دار الفكر، بيروت، ط 02، 1979م، ج 01، ص 482.

(2)– ابن كثير، البداية والنّهاية، تحقيق: جودة محمّد جودة، ومحمّد حسني الشّعراويّ، دار ابن الهيثم القاهرة، ط 01، د.ت، ج 13، ص 180.

(3)– عبد العال سالم مكرم، المدرسة النّحويّة في مصر والشّام، دار الشّروق، بيروت، 1980، ص 154.

(4)– جلال الدّين السّيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنّحاة، ص 131، 131.

(5)– ابن شاكر الكتبيّ، فوات الوفيات، تحقيق: علي محمّد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 01 2000م، ج 03، ص 407.

(6)– ابن أمّ قاسم المراديّ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، دار الفكر العربيّ، تحقيق: عبد الرّحمن علي سليمان، ط 01، 2001م، ص 45.

(7)– أحمد بن محمّد المقري، نفح الطّيب في غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر بيروت، ط 01، 1968م، ج 03، ص 223.

(8)– صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث للنشر، بيروت – لبنان، ط01 2000م، ص 285 و359.

(9)– ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمّد كامل بركات، دار الكاتب العربيّ القاهرة، 1967م، ص 13.

(10)– بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعارف، بيروت، د.ت، ج 01، ص 674.

(11)– محمّد المرابط الدّلائيّ، نتائج التّحصيل، تحقيق: محمّد إبراهيم البنّاء، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت ج 01، ص 77.

(12)– عبد الرّحمن ممدوح، المنظومة النّحويّة، دراسة تحليليّة، دار المعرفة الجامعيّة، 2000م، ص 48.

(13)– الأبيات من البسيط لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عمران، الشهير بـ"ابن المجراد" السلاوي المتوفى: سنة 819هـ.

(14)– ابن النّاظم، شرح ألفيّة ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيّد، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص17.

(15)– ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك ، دار التّراث، مصر، ط 02، 1980م، ص 01، 06.

(16)– ابن الورديّ، تتمّة المختصر في أخبار البشر، تحقيق: أحمد رفعت البدراويّ، دار الباز، مكّة، ط 01، 1970م،ج 02، ص 216.

(17)– سليمان بن عبد العزيز العيوني، سيرة ألفيّة ابن مالك، مجلّة الدّرعيّة، 1430هـ/ 2009م، العدد 46، ص 157.

(18)– سليمان إبراهيم البلكمي، ألفيّة ابن معط، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت، ص 13.

(19)– كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، ترجمة: رمضان عبد التّوّاب، دار المعارف، القاهرة، ط 03، د.ت، الجزء 05، ص 275.

(20)– عبد الكريم وضحة، التّأليف النّحويّ بين التّفسير والتّعليم، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط 01، 1428هـ/ 2007م، ص 213.

(21)– ابن مالك الأندلسيّ، متن الألفيّة، المكتبة الشّعبيّة، بيروت، لبنان، د.ت، ص 02.

(22)– محمّد بدر الدّين ابن النّاظم، شرح ألفية ابن مالك، المصدر نفسه، ص 03.

(23)– إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلميّة،بيروت، لبنان، ج 03،ص49.

(24)– فادي صقر، جهود نحاة الأندلس في التيسير النحوي، جامعة النّجاح العربيّة، فلسطين، 2006م ص72.

(25)– ابن مالك الأندلسيّ، متن الألفيّة ص 08.

(26)– المصدر نفسه ص 11.

(27)– علي محمّد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، مقدّمة تحقيق شرح الكافية، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 01، 1420هـ/2000م، ص33.

(28)– حسان بن عبدالله بن محمد الغنيمان، المنظومات النّحويّة وأثرها في التعليم، الرّياض، د.ت، ص03.

(29)– عبّاس حسن، النّحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط 15، د.ت، ج 01، ص 14.

(30)– عبدالكريم وضحة، التّأليف النّحويّ بين التّفسير والتّعليم، الكويت، ط 01، 1428هـ/2007م ص 223.

(31)– ابن مالك الأندلسيّ، متن الألفيّة، ص 03.

(32)– المصدر نفسه، ص 05.

(33)– المصدر نفسه، ص 09.

(34)– ابن هشام الأنصاري، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر، دمشق، 1384هـ/ 1964م ص 490.

(35)– الشّاطبيّ، المقاصد الشّافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق: عبد الرّحمان بن سليمان العثيمين جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، 2007م، ج 01، ص 615.

(36)– ابن أمّ قاسم المراديّ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، دار الفكر العربيّ، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ط1، 2001م، ص 140.

(37)– ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، دار التراث، ط02، مصر، 1980م، ص21.

(38)– أبو إسحاق الشّاطبيّ، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، ج 01، ص32.

(39)– أبو حيّان الأندلسيّ، منهج السّالك في الكلام على ألفيّة ابن مالك، أضواء السّلف، الرّياض السّعوديّة، د.ت، ج 01، ص 151.

(40)– ابن حمدون، حاشية ابن حمدون على شرح المكّودي، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج 02، ص38.

(41)– أبو حيّان الأندلسيّ، منهج السّالك في الكلام على ألفيّة ابن مالك، المصدر نفسه، ص 130.

42– أحمد دحلان، الأزهار الزّينيّة شرح متن الألفية، المطبعة الميريّة، مكّة المكرّمة، السّعوديّة، ط01 1310هـ، ص 06.

43– الشّاطبيّ، المقاصد الشّافية، المصدر نفسه، ص 349.

44– ابن خلدون، المقدّمة، اعتناء: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط01 2010م، ص 599.